وداعاً ملك القلوب.. أهلاً ملك الثقافة

د. عبد الرحمن الحبيب

«الموت لا يوجع الموتى.. الموت يوجع الأحياء»، يقول الشاعر.. ونحن موجوعون بفقد مِلك الإنسانية عبد الله بن عبد العزيز، الذي مَلَكَ القلوب بإنسانيته العفوية دون تكلف، وأَسَرَ الأفئدة بروحه الصافية دون رتوش.. وأذهل العقول بقراراته الحكيمة وإصلاحاته الجريئة، فترسخت المملكة كواحة سلام ورخاء..

«أولئك ملوكنا فجئني بمثلهم».. فمن مثلك أيها الملك الجليل، وقد رحلت عنا إلى الرفيق الأعلى؟ لكن كما قال الشاعر: «لا بد من موت مقيم فانتظر أبأرض قومك أم بأخرى المضجعُ». ونحن نقول وداعاً يا ملك القلوب، نقول أهلاً بملك الثقافة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، حفظه الله، فهو خير عزائنا لمليكنا الراحل، لأنه الحاكم المحنك ملك العلم، المثقف المتبحر في الأدب والتاريخ وصديق الصحفيين والمثقفين، صاحب الخبرة العريقة في الحُكم والحِكمة العميقة في السياسة، والمتابع لتفاصيل مجريات الأمور الاجتماعية والمعيشية.. هذا ما نعرفه عنه قبل أن يكون ملكاً.

لذا، حالما صار ملكاً بدأ حكمه بإصدار قرارات تاريخية حاسمة في غضون ساعات أثلجت الصدر وأزاحت القلق ونسفت كافة الإشاعات أو التكهنات التي أثقلتنا بها كل يوم وكالات الأنباء العالمية والصحف الأجنبية منذ دخول الملك عبد الله المستشفى.. صحيفة تقول أزمة في انتقال الحكم، وأخرى تقول صراع فيه، وثالثة تقول آلية حكم غامضة، وهلم جرا.. كلها ثبت أنها تخرصات عمياء كشفتها القرارات الحاسمة للملك سلمان التي وطدت أركان الحكم السعودي واستقراره، وانتقاله بسلاسة نادرة، بمبايعة الأمير الأمين مقرن بن عبد العزيز ولياً للعهد.. ومبايعة الأمير الفذ محمد بن نايف ولياً لولي العهد ليكون أول حفيد للملك المؤسس، غفر الله له، وأكبر عامل ثقة وطمأنينة في استقرار النظام مستقبلاً، وتعيين الأمير الشاب الحيوي محمد بن سلمان وزيراً للدفاع ودرعنا الواقي..

وإذا كان أول أيام الملك سلمان بالحكم مليئة بالقرارات الحكيمة الشجاعة على المستوى العام لنظام الدولة، فالمتوقع قريباً التوجه إلى المستوى التفصيلي، فالمعروف عن الملك سلمان عندما كان أميراً للرياض أنه كان يتابع أدق التفاصيل عن حياة الناس ويعالجها، ولديه، سلمه الله، ذاكرة حاذقة بهم ويتابع مقالات الصحف ويرد عليها بقلمه رغم انشغالاته، بل يصحح بعضها في التاريخ أو الأدب لمؤرخين وأدباء، حتى أنه لو لم يكن حاكماً لكان أديباً أو مؤرخاً. لذا سيكون رفع مستوى المعيشة للمواطنين في الوظائف والإسكان والصحة والتعليم في سلم أولوياته.

المتوقع أيضاً من حكمة مليكنا سلمان أن يرسم السياسة الخارجية الهادئة التي عُرفت بها المملكة، دبلوماسية تعمل بتأثير قوي لكن دون ضوضاء. سياسة لا تتدخل في شؤون الآخرين مباشرة، ولكن تدعم بهدوء ما يتوافق مع مصالح المملكة، وتتجنب -قدر الإمكان- الاصطدام المباشر مع الآخرين.. دبلوماسية ناعمة، لكن قوية، تستخدم النفوذ الاقتصادي للسعودية ومكانتها السياسية بالطريقة الدبلوماسية السعودية المعتادة: قليل من الكلام والإعلام وكثير من الفاعلية والتأثير.. وهي في الوقت ذاته سياسة حازمة لكل من يتعرض لأمن المملكة..

أما الآن فنحن نشعر بحزن عظيم على فقدنا حبيبنا الغالي الملك عبد الله، رغم أن البلاد آمنة مطمئنة فلا حالة استنفار ولا طوارئ أمنية بفقده مما يؤكد رسوخ الاستقرار والأمن والأمان التي تزخر بها بلادنا، وستظل بإذنه تعالى. فمملكتنا دولة تقوم على أسس متينة وتخطيط مدروس ومتأنٍ ومؤسسات قوية، في مقدمتها هيئة البيعة التي ظهرت أهميتها العظمى خلال الأيام الأخيرة المنصرمة بلا استحواذ فردي بالقرار..

سألتني، ببراءة، ابنتي الصغيرة ذات الأعوام العشرة: هل سيغير الملك الجديد الأنظمة؟ هل ستتغير عطلة الأسبوع؟ هل ستتغير مواد المدرسة؟ هل ستتغير المدارس؟ هل إذا كبرت سأقود السيارة مثلك يا أبي؟.. هل سيتغير كل شيء؟ قلت: يا بنتي أسئلتك هذه كثيرة، وهذا هو اليوم الأول لملكنا الجديد.. لن تتغير الأشياء بل ستتطور بهدوء، فالملك سلمان حاكم محنك سيطور أشياء كثيرة بعون الله..

على وجه التحديد

◆ د. عبدالواحد الحميد ◆

سلمان في الزمن الصعب

JAZPING: 9428

كانت السلاسة التي تميز بها انتقال الحكم في المملكة محل اهتمام وسائل الإعلام العربية والعالمية، فبعكس ما يحدث في بلدان عديدة من تناحر وتوترات في مثل هذه الظروف تمت مبايعة ملك البلاد وولي عهده وولي العهد في غضون ساعات قليلة من وفاة فقيد البلاد الملك الراحل عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله، ومضت الحياة اليومية في البلاد وفق إيقاعها المعهود بلا توقف أو وجل.

أما الجانب الآخر الذي تنبهت له وسائل الإعلام العربية والعالمية في تغطياتها للحدث والتعليق عليه فهو أن الملك الجديد بشخصيته وتكوينه النفسي والثقافي يجسد معنى ورمزية النموذج السعودي في الحكم من خلال معايشته لجميع ملوك المملكة العربية السعودية وقربه منهم وذلك انطلاقاً من موقعه داخل الأسرة الملكية واهتماماته الشخصية الثقافية والاجتماعية والسياسية وموقعه الوظيفي لمدة نصف قرن كأمير للرياض عاصمة المملكة حيث تُصنع القرارات.

هذه الجوانب التي لفتت وسائل الإعلام العربية والعالمية لم تكن غائبة عن ذهن المواطن السعودي، فالملك سلمان بن عبدالعزيز كان ولا يزال شديد التواصل مع المواطنين سواء النخب الثقافية والاجتماعية أو عموم المواطنين بمختلف شرائحهم وفئاتهم، وهم يعرفون سلمان بن عبدالعزيز حق المعرفة ويقابلونه سواء في اللقاءات الرسمية أو الاجتماعية التي تتم بشكل منتظم غير منقطع.

وفوق ذلك يعرف المواطنون مدى إحاطة سلمان بن عبدالعزيز بتاريخ مناطق المملكة وقبائلها وأسرها إذ مِنْ الأمور التي يلحظها الناس أن الملك سلمان كثيراً ما يُفاجئ من يأتي للسلام عليه أو يقابله لأمر ما أن الملك على علم باسم وتاريخ القبيلة التي ينتمي إليها ذلك الشخص أو أسرته أو منطقته أو المكان الذي جاء منه. ويأتي ذلك من خلال اهتمام الملك سلمان بتاريخ المملكة وقبائلها ومناطقها وقراءاته الواسعة في هذا المجال واختلاطه مع الناس.

أما النخب الثقافية فتعرف عن قرب سعة اطلاع الملك سلمان واهتماماته الثقافية لأن الملك يبادر بالاتصال بالكتاب والمثقفين ويتناقش معهم فيما يكتبونه ويعلق عليه أو يضيف ويتساءل عن جوانب تلتقي مع مجالات تخصصاتهم، ولا اعتقد أن كاتباً يمارس الكتابة المنتظمة في الصحافة السعودية لم يتلقَ مكالمة هاتفية من الملك سلمان للتعليق على ما يكتب، كما أنه لا يبخل بالإشادة بما قد يعجبه أو ينتقد ما لا يتفق معه بأسلوب يحترم فيه رأي الكاتب.

ومن المعروف عن الملك سلمان تشجيعه للكتاب بممارسة دورهم التنويري التنموي، وكان كثيراً ما يبدي استغرابه من ضيق بعض المسؤولين بالنقد لأن النقد ـ كما يردد دائماً ـ إما أن يكون صحيحاً فيُستفاد منه أو غير صحيح فيتم الرد عليه.

ولا تقتصر علاقة الملك سلمان بالثقافة والمثقفين على السعودية والسعوديين، فهو يملك علاقات واسعة مع كبار الكتاب والمثقفين في الوطن العربي تمتد لأكثر من نصف قرن، وكثيراً ما يشاهد الناس في مجلسه مثقفين بارزين من مختلف البلدان العربية يتبادلون الحوار معه في شتى الأمور.

ويأتي تولي الملك سلمان بن عبدالعزيز للحكم في المملكة في ظروف صعبة إقليمياً وعربياً وعالمياً. فالمنطقة العربية تعج بالأحداث الكبيرة المزلزلة، والساحة الدولية تشهد تجاذبات تكاد تعيد المجتمع الدولي إلى زمن الحرب الباردة التي ظن العالم أنها انتهت بزوال الاتحاد السوفيتي السابق، والساحة الاقتصادية تحاول التعافي من الأزمة المالية والاقتصادية التي عصفت بالعالم منذ حوالي ست سنوات، والساحة البترولية تشهد تغيرات كبيرة وبدائل جديدة للطاقة وانخفاضاً حاداً في أسعار النفط.

إن سلمان بن عبدالعزيز، بما يملكه من رصيد وتجربه طويلة في الحكم المحلي وفي العلاقات الواسعة مع الزعماء والقادة على الساحة العربية والدولية، هو رجل المرحلة القادر إن شاء الله على التعامل مع متطلبات الزمن الصعب. دعاؤنا له بالتوفيق والسداد، وللملك الراحل عبدالله بن عبدالعزيز بالمغفرة والرحمة، وأن يحفظ الله بلادنا من كل شر.

Alhumaidak@gmail.com
تويتر @alawajh ص. ب 105727